تواصل (المدى) نشر هذا الكتاب الذي يقدم صورة عن ذكريات وانطباعات وآراء بول بريمر حول فترة عمله في العراق وتهدف (المدى) عبر ترجمتها ونشرها الكتاب إلى إتاحة الفرصة لقرائها للاطلاع ، كما تتيح المجال للباحثين والمحللين وسواهم من المعنيين لمراجعة مادة الكتاب فكرياً ونقدياً.. وبهذا تؤكد (المدى) ان جميع الآراء والمعلومات التي يقدمها بريمر هنا هي تعبير عن وجهة نظره الشخصية التي لا تلتقي مع وجهة نظر (المدى) التي واكبت فترة حكم بريمر وما بعدها بالنقد الصريح المعروف عن الجريدة وعن سياستها الواضحة في هذا المجال.

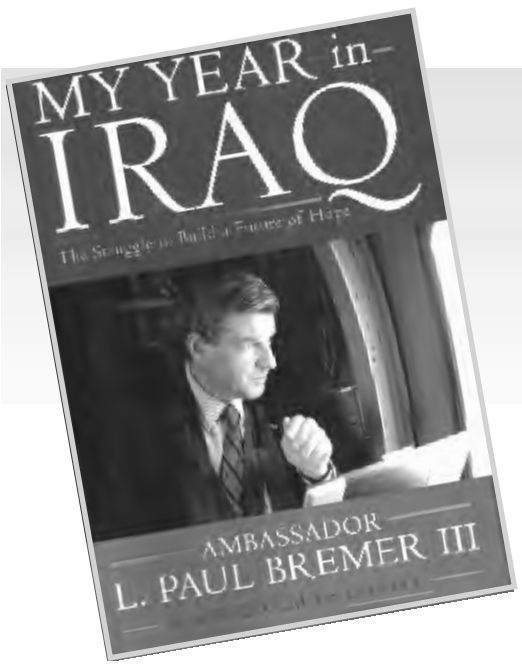

كتاب بول بريمر الصادر حديثاً حول تجربة عمله في العراق

سنتي في العراق

الصراع لبناء مستقبل من أمل

تأليف/ بول بريمر
ترجمة /د. عابد اسماعيل

(الحلقة الحادية و الثلاثون)

وبعد بضعة أيام ، جعلتُها افتتاحية رئيسية لخطابي إلى الشعب العراقي. لمعت أضواء الكاميرا الصغيرة ، وبدأتُ بالقراءة: اللّه بالخير. أنا بول بريمر، مدير سلطة التحالف المؤقتة. يقول النبي أرميا: "أعرفُ الخططَ التي وضعتُها لكم ، يقولُ الربّ ، خططاً لصالح خيركم ، وليست للأذى ، من أجل منحكم مستقبلاً من أمل." كانت المصاعب التي يواجهها الشعب العراقي واضحة. كانت المشاكل واضحة للعيان ، ويراها الجميع.

غير أن الأمور لن تبقى كما هي.
-أمام العراقيين، ثمة مستقبل من أمل.
-سوف تعيشون بكرامة.
-سوف تعيشون بسلام.
-سوف تعيشون بازدهار.
-سوف تعيشون في هناءة الأسرة الهادئة، والأصدقاء، وبراتب محترم تكسبونه بشرف.
-سوف تعيشون في عراق يحكمه العراقيون، من أجل العراقيين.
هذه الأشياء، لا بدّ أن تتحقق.
مستقبلكم يعدُ بالأمل والكرامة. ربما يصعب تحقيق الكرامة في الوقت الذي تجوب فيه قوات أجنبية، مهما كانت نياتها سليمة، شوارعكم. في الأشهر القادمة سترون قوات أقل، بما أن قوات التحالف سيتمّ استبدالها بالتدريج بشرطة عراقية قادرة، ومدربة. ومع مرور الزمن، سوف يستبدَل الجنود الأجانب بالجيش العراقي الجديد، الذي يعلن ولاءه لدستور توافقون عليه أنتم، وليس إلى رجل واحد.
مستقبلكم يعدُ بالأمل والسلام. من الصعب تخيل السلام في الوقت الذي لا تزال فيه ذاكرة العراقيين موشومة بربع قرن من الصراع المستمر. غير أنّ التخلص من طاغية مغرم بالمغامرات الخارجية، سوف يجلب السلام، السلام مع جيرانكم، والسلام مع العالم.
مستقبلكم يعدُ بالأمل والازدهار. يصعب تخيل الازدهار في ظلّ النقص الحاصل والمستمر في كل الأمور. غير أنّ إصلاح وتوسيع البنية التحتية، عبر توظيف ذكائكم وطاقتكم، وصبركم، لتحقيق الازدهار.
مستقبلكم يعدُ بالأمل، والعمل المنتج. إن العيش الهانئ مع العائلة والأصدقاء، وكسب دخل محترم وشريف يصعب تخيله في ظل نقص فرص العمل، والجهد المبذول لتلبية الضروريات الأساسية. غير أن البرامج التي وضعها التحالف سوف تزيد من فرص العمل. بدأت الأموال تتحرك من بغداد إلى باقي المحافظات (الأقاليم). إننا نتخذُ خطوات عاجلة لتشجيع إنشاء وتوسيع الأعمال المنتجة، التي ستوفر المزيد من فرص العمل. ولأضرب مثلاً واحداً، فإن برنامجاً واحداً وضعه التحالف، متعلقاً بتنظيف قنوات الري قد وفّر أكثر من ١٠٠ ألف فرصة عمل في الأسابيع الخمسة الماضية.
مستقبلكم يعدُ بالأمل، وبحكومة يديرها عراقيون من أجل العراقيين. من الصعب تخيل حكومة عراقية يديرها عراقيون من أجل العراقيين حين يكون معظم العراقيين قد ولدوا في ظل ديكتاتورية صدام. وإن كان صدام والبعثيون عراقيين، من دون شك، إلا أنهم لم يحكموا يوماً باسم العراقيين. في هذه اللحظة، فإن اللجنة التحضيرية التي عينها مجلس الحكم سوف تستطلع آراءكم عن أفضل السبل لكتابة دستور جديد.
إنني لا أعرف الشكل النهائي للدستور. لكن من سيكتبه هم العراقيون. سوف يعكس الرغبة الجمعية للشعب العراقي، ويعمل لخدمة الشعب العراقي. وما إن تتم كتابة الدستور، حتى يُقدم لكم، أنتم الشعب العراقي، من أجل الموافقة عليه.
هذا المستقبل الأفضل لجميع العراقيين لا بدّ سيأتي. ولكن ينتظرنا الكثير من العمل الجاد. إن الاعتداء الذي تعرضت له أنابيب التصدير في كركوك، يوم الجمعة، هو ضربة للاقتصاد العراقي. إن المجرمين الذين قاموا بهذا لا يشاطروننا فكرتنا عن عراق جديد مزدهر. غير أنّنا نتغلب على هذه المشكلة إذا عملنا معاً من أجل بناء عراق أفضل.
أفهم أن الكثيرين منكم غاضبون وممتعضون. إن الناس في أمريكا أو بريطانيا أو بولندا، أو أي من دول التحالف الأخرى، سيكونون غاضبين وممتعضين إذا وجدوا أنفسهم في الظروف نفسها.
لن تعيشوا هكذا إلى الأبد. سوف يخلق العراقيون من جديد بلداً جميلاً- بلداً ستكونون فخورين بتوريثه إلى أطفالكم وأحفادكم.
بدأ يوم الثلاثاء، ١٩ آب، في بغداد، كنهارٍ عادي.
بعد الاجتماع الصباحي المعتاد لفريق العمل، وبعد عدد من اللقاءات الصحفية، قدم للقائي موظف الأمم المتحدة، المسؤول عن الإشراف على برنامج النفط مقابل الغذاء، بينون سيفان، وهو أمريكي من أصل يوناني. والسيد سيفان موظف أممي، متوسط العمر، يرتدي نظّارتين، من دون إطارات. كان مركزه نيويورك. لكنه يتحلّى بطريقة شرقية في التعامل. كان يقوم بزيارة قصيرة إلى بغداد. (و سيفان مسؤول مباشرة أمام الأمانة العامة للأمم المتحدة، وكان موضوعاً للفساد في برنامج النفط مقابل الغذاء.)
كان مكتبه يتسبب بمشاكل للحكومة العراقية. كان فريق سلطة التحالف المؤقتة يعمل، على مدى أسابيع، مع الوزارات العراقية لدراسة آلاف العقود الموقعة من قبل نظام صدام وفقاً لبرنامج النفط مقابل الغذاء. هذه العقود، التي تراها الوزارات سارية المفعول، كانت ترفعها سلطة التحالف المؤقتة إلى مكتب سيفان في نيويورك، ليتمّ التصديق عليها، بحيث يكون بالإمكان إرسال البضائع والخدمات إلى العراق.
في التاسع عشر من آب، صادقت الوزارات العراقية على أكثر من ٢٥٠٠ عقد بقيمة مليارات الدولارات لشراء بضائع واحتياجات ماسّة. غير أنّ الأمم المتحدة كانت قد دفعت باتجاه تنفيذ وتمويل عقد واحد بشكل خاص. "إننا لا نستطيع ببساطة انتظار الأمم المتحدة وهي تجرجر خطواتها، عبر عملية بيروقراطية روتينية." قلتُ لسيفان. " نحتاج أن ندفع قدماً في اتجاه تنفيذ هذه المشاريع، وبسرعة. لا يمكن للشعب العراقي أن يقبل بما هو أقلّ من ذلك."
كانت لدينا مشكلة أخرى. بالإضافة إلى عقود برنامج النفط مقابل الغذاء، التي لم يتم الالتزام بها، كان مكتب سيفان يجلس على ٢٧٧ مليون دولار، كعائدات نقدية وضعت جانباً، لكي تتمكن الأمم المتحدة من تغطية التكاليف الإدارية، إلى أن شارف برنامج النفط مقابل الغذاء على النهاية، في تشرين الثاني. وكان للعراق الحق بجميع هذه العائدات النقدية التي لم تكن تستخدمها الأمم المتحدة.
"إنها أموالهم،" ذكّرتُ سيفان. "هذه ليست أموال الأمم المتحدة."
"سوف أنظر في موافقات العقود، وأجعل القسم الأكبر من هذا المبلغ، ٢٧٧ مليون دولار، متوفراً في أقرب وقت ممكن،" وعدني سيفان خيراً فيما كان يغادر المكتب.
سجّلتُ ملاحظةً للاتصال بسفيرنا إلى الأمم المتحدة جون نيغروبونتي، والطلب من فريق عمله متابعة الموضوع.كانت الأمم المتحدة تحتفظ بمليارات الدولارات، العائدة إلى الشعب العراقي، والتي كان من المفترض أن تصل إليهم.
بعد مضي نصف ساعة أخرى، وفي ذروة اجتماع مع وفد من الكونغرس، برئاسة السيناتور جون مكين، مرر لي بات كيندي ملاحظة تقول بأن انفجاراً ضخماً استهدف بناء الأمم المتحدة في شرقي بغداد. أرسلتُ بات مباشرة إلى موقع الانفجار، مع تعليمات لتقديم المساعدة إلى الأمم المتحدة.
اتصل بي بات بعد نصف ساعة من وصوله. "إن مقر الأمم المتحدة مدمّر بالكامل تقريباً. المشهد مرعب جداً. لم يبق أي شيء على حاله- لا مكتب، أو فسحة، أو مكان للعمل أو النوم."
"قل لهم إننا سنوفر لهم السكن الملائم، والرعاية الصحية، والطعام في مقرنا، وإلى المدة التي يحتاجون إليها." طلبتُ من سكوت نورود أن يوفر ٢٥٠ سريراً، تُوضع في قاعة المراسيم، في القصر، من أجل موظفي الأمم المتحدة، والطلب من وزارة الصحة للتحرك.
أرسلتُ خبراً إلى مجلس الحكم أعرب فيه عن نيتي بزيارة موقع الانفجار على الفور، واقترحت عليهم أن يشكّلوا وفداً لمرافقتي.
ومن ثم قمتُ باتصال إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان. أخبرتني وزارة الخارجية أنه في زيارة إلى النرويج، وطلبتُ منهم أن يقوموا باتصال به. وفيما كنتُ أستعدّ للمغادرة، أخبرني سكوت نورود أن الرئيس بوش في كرافورد، تكساس، يريد الاتصال بي، للإطلاع على آخر أخبار الانفجار، والتي كانت قد بدأت تتصدّر الأخبار العالمية.
حين لم يتصل بي أي منهما خلال الخمس عشرة دقيقة اللاحقة، غادرتُ القصر مع السفير ديفيد رتشموند، وتوجهنا إلى مبنى مجلس الحكم لمرافقة الأعضاء الثلاثة، الذين سمّاهم المجلس، وهم نصير الجادرجي، والشيخ عبد الكريم المحمداوي، والسفيرة عقيلة الهاشمي.
وفيما كنا نقتربُ بصمت من مبنى الأمم المتحدة، اتصل بي قسم عمليات وزارة الخارجية على هاتفي الخليوي، وربطني بالأمين العام كوفي عنان من النرويج. عبرتُ له عن تعازيي العميقة وعن غضبي الكبير تجاه هذا الهجوم. أضفتُ أنني كنتُ قد أرسلتُ كبير مساعدي إلى موقع الحادث، وأننا كنا قد أرسلنا الأسرّة، والطعام، وجميع الحاجيات الضرورية الأخرى إلى موظفي الأمم المتحدة. "إننا مستعدون للتعاون بأي طريقة كانت." عبر أنان عن كبير امتنانه وتقديره.
بعد خمس دقائق أخرى، وفرت لي غرفة الطوارئ، في البيت الأبيض، اتصالاً مع الرئيس بوش.
"سيدي الرئيس،" قلتُ، "لا أستطيع أن أطلعك على آخر التطورات لأننا ما زلنا في الطريق إلى موقع الانفجار، مع أعضاء من مجلس الحكم."
"قل لهم إنني معجب بشجاعتهم، وأؤكد لهم أن الولايات المتحدة لن تتراجع قيد أنملة عن دعم العراق." قال الرئيس بوش. "آملُ بأن تحافظ الأمم المتحدة على مسارها السابق."
كان أحد جوانب المقر، المؤلف من طوابق ثلاثة، قد انهار، متحولاً إلى أنقاض، يتصاعد منه الدخان. وحضرت مئات من قوات الدفاع المدني الأمريكية والعراقية، التي راحت تفتش بين الأنقاض، بحثاً عن ناجين.
قابل بات كيندي سيارتنا، بقميصه المتّسخ، وملامحه العابسة، الممتقعة، ثم أخذني جانباً.
"انفجار شاحنة." قال، "الشيطان. إنهم لا يزالون يحصون الموتى. سمعتُ بأن سيرجيو دي ميلو قد نجا من الهجوم، لكنه لا يزال عالقاً تحت الأنقاض."
كانت قواتنا تحاول انتشاله، مع زملائه من موظفي الأمم المتحدة، من بين الأنقاض. كانت المتفجرة قد وضعت أسفل مكتب دي ميلو، مدمرةً زاوية كاملة من المبنى. لم يكن قد تبقى شيء من الشاحنة، سوى محور خلفي قابع في أسفل حفرة عميقة. أتى رئيس مكتب التحقيق الفدرالي توم فونتس، ليخبرني بأنهم عثروا على يد بشرية قرب الحفرة، وهذا ما جعله يستنتج بأن الانفجار هو نتيجة لعملية انتحارية.

الشهيد سرجيو دي ملو

يتبع